١

الألفاظ الدَّالةُ على رفْع الصَّوتِ في القرآنِ الكريمِ دراسةٌ دلاليَّةٌ

The words indicating the raising of the voice in the Holy Qur'an semantic study

أ.م.د.جاسم محمد موسى
Assist Prof. Dr. Jassim Muhammad Musa

كلية التربية الأساسية/ جامعة واسط
College of Basic Education/ University of Wasit

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي-الجامعة العراقية
كلية التربية للبنات

مُلخَّص البحث:

تقوم هذه الدراسة على دراسة منتقاة لأربعةٍ من (الألفاظ الدَّالة على رفْع الصَّوتِ في القرآن الكريم –دراسةٌ دلاليَّة–)، وهي: (النداء، الصِّياح، الصراخ، الجَأر)، وتُحاول الدراسة عرض أقوال علماء اللغة والتفسير في دلالة هذه الألفاظ ومناقشتها قبولاً أو رفضاً، أو إضافةً وتعليقاً؛ لتبيِّن دقَّة هذه الألفاظ القرآنيَّة في ضوء السياق والمقام وقرائن الأحوال؛ لتربط بين الدلالة المحوريَّة والدلالة المكتسبة.

الكلمات المفتاحيَّة: (القرآن الكريم، النِّداء، الدلالة)

Abstract:

This study is based on a selected study of four of the (words indicating the raising of the voice in the Holy Qur'an - a semantic study-), which are: (calling, shouting, screaming, jarring), and the study attempts to present the statements of linguists and interpretation on the significance of these words and discuss them accepting or rejecting them. , or add and comment; To show the accuracy of these Qur'anic words in the light of the context, the place and the presumptions of the conditions; To link the pivotal significance and the acquired significance.

Keywords: (The Noble Qur'an, the call, the significance)

مقدمة

لَمْ يعد يخفى على أحدٍ من الباحثين المنصفين من المسلمين وغير المسلمين ما في ألفاظ القرآن الكريم من دلالات متعددة، تحملُ أوجهاً مختلفة، بحسب السياق المقالي، والمقام الحالي، وليس لأحدٍ أنْ يدَّعيَ أنَّه بلغ الغاية في الإحاطة بمدلولات ألفاظه الشريفة، كيف وقد قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا﴾ (الكهف: ١٠٩).

لهذا وغيره تعددَّت الدراسات التي تغترف من هذا البحر المُمدّ لبحور العلم والمعرفة، والكنز الذي أمدَّ اللغة بدلالات جديدة، أعطت لهذه اللغة الشريفة أبعاداً جديدة.

وقد وقع في خاطري أنْ أدرس مجموعة من الألفاظ القرآنيَّة؛ لأبيِّن جانباً من جوانب الإعجاز الدلالي، فوقع اختياري على (الألفاظ الدَّالةُ على رفْع الصَّوتِ في القرآن الكريم -دراسةٌ دلاليَّة-)، وقد اخترتُ من هذه الألفاظ أربعةً وزَّعتها على مباحث، وهي: النداء، الصِّياح، الصراخ، الجَأر)، وفي الحقيقة هذه ليست كلّ الألفاظ التي تدلّ على رفع الصَّوت في القرآن الكريم، فهناك ألفاظ أخرى قد تدلّ دلالة سياقيَّة أو مجازيَّة على رفع الصوت مثل الدعاء، ولكنّي رأيتُ الاقتصار على الألفاظ الموضوعة أصلاً لرفع الصَّوت، أو الألفاظ التي بمجرَّد أنْ تُنطق وتطرق السَّمعَ يتبادر إلى القلب معنى رفع الصَّوت.

وقد اتبعتُ في هذا البحث أسلوب الابتداء بالدلالة المعجميَّة المحورية، ثمَّ أنطلقُ منها إلى الدلالة السياقية أو المجازية، ثمَّ أذكر ما انتهى إليهِ رأيي بعد تأمُّل النصوص في ضوء مصادر اللغة.

وكان من البديهي أنْ تكون أكثر المصادر من كتب التفسير لا لأنَّ الدراسة تفسيريَّة شرعيَّة بحتة؛ بل لأنَّها هي الكتب التي تتناول الدلالة القرآنية، ولعلَّ هذه الدراسة القرآنية ترفد المكتبة اللغويَّة بما هو نافع.

وآخر دعوانا أنِ الحمد للهِ ربِّ العالمين.

المبحث الأوَّل: النِّداء

النِّداءُ في اللُّغةِ: الصَّوتُ، وقد يُضَمُّ مثل الدُّعاءُ والرُّغاءُ، فيُقال: النُّداء، وناداهُ مُناداةً ونداء، أي: صاحَ بهِ، وهو مَأخوذٌ من نِداء الصَّوْت، وَهُوَ بُعد مداه، ويدلُّ على رفع الصَّوْت وَقد ناديته وناديت بِهِ، والنداء مصدر ناديتُ، والنِّداءُ الِاسْم وَهُوَ الصِّياح[1].

وقد بيَّنَ ابن فارس الأصل الدلالي الذي ترجع إليهِ كلُّ مشتقات لفظ النِّداء، فقال: « النُّونُ وَالدَّالُ وَالْحَرْفُ الْمُعْتَلُّ يَدُلُّ عَلَى تَجَمُّعٍ... وَمِنَ الْبَابِ نَدَى الصَّوْتِ: بُعْدُ مَذْهَبِهِ. وَهُوَ أَنْدَى صَوْتًا مِنْهُ، أَيْ: أَبْعَدُ»[2]، والقصد بالتَّجمُّع أنْ تتجمَّعَ همَّةُ الإنسان وطاقتهُ لتصدرَ صوتاً عالياً مرتفعاً؛ يصلُ إلى أبعد مكان ممكن، ألا ترى أنَّ الأذان لحضور الصَّلوات يُسمَّى (نداءً)، وما ذاك إلَّا لأنَّ صورته تكون برفع

(١) الصحاح: مادة (ندا) ٦/ ٢٥٠٥، جمهرة اللغة: مادة (دنواي) ٢/ ١٠٦١، المخصص: ١/ ٢١٩.

(٢) مقاييس اللغة: ٥/ ٤١١-٤١٢.

الصَّوت ليسمع أبعد إنسانٍ.

وقال الدكتور محمد حسن حسن جبل: « المعنى المحوري بُعْدُ مَدَى ما يبلغه الشيءُ ارتفاعاً، أو انفصالًا، كامتداد النَّبات، والصَّوت، والدُّعاء، وكمسافة طَفْر النوى وشرود الإبل، والمسافة الزمنية بين الشُّرْبَين، والندَى يسقط من مسافةٍ بعيدة كالمطر، وندى الفرس مشبَّه بندى السماء في البلل الخفيف يعرو الأشياءَ»(١).

وقد بيَّن أبو هلال العسكريّ الفروق الدلاليَّة بين النِّداء وما يرادفه أو يُقاربه من الألفاظ، فقال: «الْفرق بَين الدُّعَاء والنداء أَنَّ النداء هُوَ رفْعُ الصَّوْت بِمَا لَهُ معنىً، والعربيُّ يَقُول لصَاحبه: نَاد معي؛ ليَكُون ذَلِك أندى لصوتنا، أَي: أبعدَ لَهُ، وَالدُّعَاء يكون برَفْع الصَّوْت وخفضه، يُقَال: دَعوته من بعيدٍ، ودعوت الله فِي نَفسِي وَلَا يُقَال ناديته فِي نَفسِي»(٢)، إذن النِّداء لا يكون إلَّا بصوتٍ مرتفع.

وقال أيضاً: «الْفرق بَين النداء والصياح أَنَّ الصياحَ رفع الصَّوْت بِمَا لَا معنى لَهُ، وربما قيل للنداء صياحٌ، فَأَما الصياح فَلَا يُقَال لَهُ نِدَاء إلا إذا كَانَ لَهُ معنى»(٣).

إذن النِّداءُ رفعُ الصَّوتِ بشيءٍ لهُ معنى مقصود، وليس صوتاً عبثيّاً، أو تعبيراً عن حالةٍ من ألمٍ أو فرح، وغير ذلك.

ونحنُ لا نعني بالنِّداء هنا أسلوب النِّداء أسلوباً لغويّاً بلاغيّاً، ولكننَّا نعني مادة (نادى) وما اشتُقَّ منها، وقد ورد لفظ (النِّداء) ومشتقاته إحدى وخمسين مرَّة، تنوَّعت بين الصيغ الاسميَّة والفعليَّة ما خلا صيغة الأمر، وقد ورد في سياقاتٍ عدَّة، وجاءت له دلالات مختلفة، ومن أبرز دلالاته:

١-الصَّوتُ المُجرَّد(٤):

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً ۚ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾(٥)، أراد: ﴿بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً﴾ البهائم التي لا تعقل ولا تفهم ما يقول الراعي، إنما تسمع صوتًا ولا تدري ما تحته، أي: ومثل وَعظ الكافر وواعظه، كمثل الناعق بغنمه ونَعيقه، فإنَّه يسمع نَعقه ولا يعقل كلامه، فالذين كفروا يسمعون كلام النبيﷺ وهم كالغنم، إذ كانوا لا يأتمرون بما يأمرهم به، ولا ينتهون عمَّا نهاهم عنه(٦)

وهنا قد يسألُ سائل: كيف يقول اللغويّون: إنَّ النداء لا يكون إلَّا لمعنى، وقد جاء هنا لمجرَّد الصَّوت؟

والذي أراه أنَّ النِّداءَ هنا مُجرَّد صوتٍ بالنِّسبة للمَدعوِّ الذي لا يعقل شيئاً سوى صوتٍ يقرعُ سمعَه، أمَّا في حقيقته فهو دعوة إلى الحقِّ.

(١) المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم: ٤/ ٢١٦٩.

(٢) الفروق اللغوية: ٣٨.

(٣) الفروق اللغوية: ٣٨.

(٤) بصائر ذوي التمييز: ٥/ ٣٢.

(٥) البقرة: ١٧١.

(٦) ينظر: جامع البيان: ٣/ ٣١٣، التَّفْسِيرُ البَسِيْط: ٣/ ٤٩٣

٢-نداءُ تبليغ دعوة الإسلام:

ومنه قوله تعالى حاكياً قول المؤمنين التائبين: ﴿رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ﴾[١]، والمقصود بالمنادي هنا حضرة سيِّدنا الرَّسول عظيم الشّأن[٢].

وهنا نلحظُ لفظ النداء جاء بتركيبٍ لم يتكرَّر في القرآن الكريم ﴿مُنَادِيًا يُنَادِى﴾، فابتدأ بالاسم ونكَّرَهُ، والتنكيرُ هنا للتعظيم، أي: منادياً عظيماً في منزلته ومكانته عند ربِّهﷺ، ثُمَّ وصف ذلك المنادي العظيم بـ﴿يُنَادِى﴾، وهي جملة حاليَّة، والفعل المضارع هنا أفاد الاستمرار؛ فإنَّ لفظة ﴿مُنَادِيًا﴾ تكفي، ولكنَّه حين أردفها بقوله:﴿يُنَادِى﴾، أفاد الاستمرار؛ للإشارة إلى أنَّ سيدنا الرَّسولﷺ لم ينقطع في دعوته قطّ، ولم يكن داعياً، بل منادياً بكلِّ ما أوتي من قوَّة ماديَّة (صوتيَّة)، وبقواه الروحانيَّة الشريفة.

٣-النِّداء الدَّالّ على الأذان:

ومن النِّداء الدَّالِّ على الأذان للصَّلوات قوله تعالى:﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ٱتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ﴾[٣]، ومعناه: وَإِذَا أَذَّنُ مُؤَذِّنُكُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ بِالصَّلَاةِ وإنَّما أضافَ النِّداء إلى جميع المسلمين؛ لأنَّ المؤذِّن يؤذنُ لهم وينادِيهم، فأضافَ النِّداءَ إليهم، سَخِرَ مِنْ دَعْوَتِكُمْ إِلَيْهَا هَؤُلَاءِ الْكُفَّارُ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى وَالْمُشْرِكِينَ والمُنافقينَ هُزْؤُهُمْ وَلَعِبُهُمْ مِنَ الدُّعَاءِ إِلَى الصَّلَاةِ إِنَّمَا يَفْعَلُونَهُ بِجَهْلِهِمْ بِرَبِّهِمْ[٤].

٤-الدُّعاء:

ومنه قوله تعالى:﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ ۝٢ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا﴾[٥]، أمَّا سبب اختيار لفظ النِّداء المتضمن رفع الصَّوت دون (الدعاء)، فقد علَّلهُ الراغب الأصفهاني بقوله: « فإنه أشار بالنِّدَاء إلى الله تعالى؛ لأنّه تَصَوَّرَ نفسَهُ بعيداً منه بذنوبه، وأحواله السَّيِّئة كما يكون حال من يَخاف عذابَه »[٦]، ولم يذهب الفيروز آبادي بعيداً عن هذا التوجيه وإن اختلفت ألفاظه وصياغته حين قال: « أشار بالنِّداءِ إلى أنَّه تَصوَّر نفسه بمكانٍ بَعيدٍ عن حضرة الكِبْرياءِ، كما قال الخليل إبراهيم: أَنا الخَليلُ من وَراءَ وَراءَ »[٧].

في حين ذكر الدكتور محمد حسن حسن جبل أنَّ نداء سيِّدنا زكريا عليه السلام لا يتعارض مع الدلالة المعجميَّة للنداء برفع الصَّوت؛ «لنسبيَّةِ رفْعِ الصوت وبخاصة عند التضرُّع لله ﷻ، كما أنَّه يَتأتَّى برفع الصوتِ مع كون المنادي في جوف بيت، أو منفردًا في خلاءٍ فلا يسمعه بَشرٌ»[٨].

---

(١) آل عمران: ١٩٣.

(٢) ينظر: الزيادة والإحسان في علوم القرآن: ٧/ ١٠٩.

(٣) المائدة: ٥٨.

(٤) ينظر: جامع البيان: ٨/ ٥٣٦، بحر العلوم: ١/ ٤٠١.

(٥) مريم: ٢ - ٣.

(٦) المفردات في غريب القرآن: ٧٩٧.

(٧) بصائر ذوي التمييز: ٥/ ٣٢.

(٨) المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم: ٤/ ٢١٧٠.

والتوجيهان مقبولان، لكن كلُّ توجيه ناظرٌ من جانبٍ، فتوجيه الراغب الأصفهاني والفيروز آبادي منطلقهُما ومبناهما افتقارُ حضرات الأنبياء -عليهم السَّلام- بين يدي الله تعالى، وتواضعهم التَّام، وشعورهم بالبعد المعنوي وهذا من هَضْمهم لنفوسهم؛ تذلُّلاً لله وتخشُّعاً له، وهذا التخشُّع والتذلُّل يجعل الدعاء أقربَ إلى الإجابة.

أمَّا توجيه الدكتور الجبل فمبناه الدلالة اللغويَّة، فهو يقول إنَّ نداء سيِّدنا زكريا عليه السلام كان نداءً مقارنةً بالدعاء الاعتيادي الذي يكون غالباً بالإخفات المبنيّ على مناجاة الله تعالى؛ لأنَّه أقرب إلينا من حبل الوريد.

وأنا أُضيفُ تعليلاً آخر، وهو أنَّ استعمال لفظ (النِّداء) فيه إشارة على شدَّة التضرُّع والإقبال على الله تعالى، فمن اشتدَّت ازمتُهُ وعظمَ بلاؤه لجأ إلى الله بكلِّ مشاعره، وألقى بنفسه إليه بالكليَّة، وسياق الآية يؤكد ذلك، ألا ترى أنَّ الدعاء كان لطلب الذريَّة قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴿٤﴾ وَإِنِّي خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِي وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ﴿٥﴾ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ۖ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴿٦﴾ يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ﴿٧﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا ﴾[1] فإنَّ طَلَبَ الذريَّة حين يبلغ الإنسانُ من الكبر ما يبلغ أمرٌ قد يستحيل من الناحية الطّبيَّة، فقد كان عليه السلام قد يبس جلدُه الشَّريف، ونحلت عظامُه الشريفةُ، فوصل إلى حالةٍ لا سبيل إلى إصلاحها ومداواتها، حيث كان ابن بضع وسبعين[2]، فلا بدَّ من الإلحاح ورفع الصَّوت بالدعاء؛ لتكون الإجابة أقرب، وهذا ما حصل كما ذكرتِ السورة الكريمة.

ولو انتبهنا إلى قوله ﴿نِدَآءً خَفِيًّا﴾ لثار لدينا تساؤل: كيف يكون نداءً، وكيف يكون خفيًّا؟!

فأقول: الخفاء في الصَّوت قد يكون خفاءَ زمانيّاً ومكانيّاً بمعنى أنَّه دعا في زمان الناسُ تغطّ في النوم فيه، فيكون الخفاءُ على النَّاس لا في مستوى الصَّوت ونبرته، أو يكون في مكان مخفيٍّ لا يسمع به أحد، وهو دُعَاءً لا رِيَاءَ فِيهِ فِي تَفْسِيرِ الْحَسَنِ البصريّ[3]، والخفاء متحقِّق في الحالين. إذن فالنِّداء تصويرٌ لشوق الداعي وإقباله الروحي بكلِّ مشاعره على ربِّه، ولقد استشعرنا هذا الجو الابتهاليَّ التضرعيَّ ونحن نتصور نبياً يبتهل وحده في خلوة مع الله، وكِدْنا نُصغي إلى مناجاته الخفية تتصاعد في السماء.

وهناك ملحظ دلاليٌّ آخر بما توحي التركيبة الصوتية للفظ (نداااااء)، فهو تدلّ على طول دعائه واستمراره لسنوات طويلة متتابعةٍ دون يأس من رحمة الله، أو كللٍ أو ملل.

(١) مريم: ٤ – ٨.

(٢) ينظر: تفسير مجاهد: ٤٥٤، تفسير عبد الرزاق: ٢/ ٣٥١، غريب القرآن لابن قتيبة: ٢٧٢، غريب القرآن للسجستاني: ٣٤٣، المفردات في غريب القرآن: ٥٤٦.

(٣) تفسير يحيى بن سلام :١/ ٢١٣.

٥-الاستغاثة:

والاستغاثة نوعٌ من الدُّعاء، لكنَّنا لم ندرجه فيها؛ لأنَّ المستغيث لا يُنجِّيه إلَّا سرعة الإجابة، فيطلب إغاثةً آنيَّةً لَحظيَّة، بخلاف طالب الذريَّة الذي لا يُعقل أنْ يطلبها أنْ تتحقق في الحال، ومثال الاستغاثة قوله تعالى: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾[1]، والحال الذي كان فيه سيدنا أيوب قد استوجب اللجوء إلى اللهِ تعالى بكلِّ قواه ومشاعره، فإنَّ ما أصابه من البلاء لم يُصبْ أحداً، فقد كانت أموال من صنوف مختلفة، وكانت له أراض كثيرة، وكان له ثلاثمائة زوج ثيران، وغلمان يعملون له في ضياعه، وأموال السوائم من الغنم والإبل والبقر، فأكلت غنمه النار، فحمد الله تعالى وأثنى عليه، ثمَّ أحرقت نارٌ إبله وبقره ففعل مثل ذلك، ثم أكلت جميع زرعه، فحمد الله ﷻ وأثنى عليه، ثمَّ مات أولاده السبعةُ وبناته الثلاث، فحمد الله عَزَّ وَجَلَّ عَلَى ذلك، وأثنى عليه، ولم يجزع ثم جاء إبليس إلى أيوب وكان في الصلاة، فلما سجد نفخ في أنفه وفمه نفخة، فانتفخ أيوب عليه السلام وخرجت به قروح، وجعل تسيل منها الصديد، وتفرق عنه أقرباؤه وأصدقاؤه، ولم يبق معه أحد إلا امرأته، فجاء إبليس في صورة طبيب، وقال للمرأة: إني أردت أن يبرأ من علته، فمريه يشرب الخمر، ويتكلم بكلمة الكفر. فأخبرته المرأة بذلك، فقال لها: ذلك إبليس الذي أمرك بهذا، فألَّت عليه، فغضب وقال: والله لئن برئت، لأضربنك مائة سوط. قالت: متى تبرأ؟ فقال عند ذلك: (ربِّ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ)، وما كان نداؤه إلا بعد أنْ صبر تسع سنين على كلِّ ما أصابه[2]؛ وإنَّما أوردنا هذه التفاصيل لنبيِّن سبب لجوئه عليه السَّلام إلى دعاء ربِّه مُنادياً ومتضرِّعاً ومتوسِّلاً، فالمقام يحتاج كلَّ ذلك.

ومِن نداء الاستغاثة الذي أجابه اللهُ تعالى قوله تعالى في قصة سيدنا يونس عليه السلام: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[3]، فإنَّه عليه السلام كان في ظُلماتٍ ثلاث، ظلمة الليل، وظلمة البحر، وظلمة بطن الحوت، فالنِّداء بكلِّ المشاعر، وإلقاء النفس بالكليَّة على الله تعالى هو المُنجِّي مِنْ كُلِّ كربٍ وهمٍّ وغمٍّ.

٦-نداء الاستغاثة الدَّال على اليأس:

وهذا النِّداء يختلف عمَّا قبله بأنَّ صاحبه يائسٌ غير آمل في إجابة مطلوبه، أو تغيير حاله بخلافِ السابق؛ لأنَّهُ حالٌ آخرويّ، أصحابه مرعوبون من خلود العذاب الذي هو فيه، فيتمنَّون الخلاص في محاولةٍ يائسة أخيرة، وهم مُنكسرون، يستغيثونَ بأهل الجنة على سبيل التذلُّل والتَّوسل، في مشهد موح، فيه تذكير بماضيهم، وترذيل لأفعالهم[4]، قَالَ تَعَالَىٰ:

(١) الأنبياء: ٨٣.

(٢) ينظر: بحر العلوم: ٢/ ٤٣٦، الهداية: ٧/ ٤٧٩٣.

(٣) الأنبياء: ٨٧.

(٤) ينظر: وظيفة الصورة الفنية في القرآن: ٣٦٢، الموسوعة القرآنية، خصائص السور: ٣/ ٨٩.

﴿ وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ أَنۡ أَفِيضُواْ عَلَيۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ أَوۡ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُۚ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾[1].

ويبدو أنَّ القرآن الكريم اختار لفظ (النداء)؛ لما يأتي:

أ-لأنَّ أهل النَّار في عذابٍ، وأصوات لهيب النَّار تحيطُ بهم من كلِّ جانب، وأسواط الملائكة تضرب جلودهم، وصراخهم يُخفي أصوات كلَّ من أراد مناداة أيِّ أحدٍ، فلا بدَّ أنْ يُنادوا بصوتٍ عالٍ لعلَّ أحداً يسمعهم وينجدهم ويُعينهم.

ب-لأنَّهم في حالٍ لا يسمح بالانتظار؛ لأنَّ البقاء خلودٌ إلى الأبد.

ج-لتصوير مدى شدَّة العذابِ، حتى أنَّهم يُنادون بأعلى أصواتهم من أجل شُربةِ ماءٍ، أو أيّ شيءٍ آخر، ألا ترى أنَّهم قالوا: ﴿مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُۚ﴾، و(ما) هنا مُبهمة تفيد أيّ شيءٍ ممكن الحصول عليه مهما قلَّ.

وإذا انتقلنا إلى آيةٍ أخرى فوجدنا يأسَ الكفار من الحصول على الماء ونحوه، رأينا طلباً آخر بنداء عريض؛ لكي تكون النهاية، ومنه قوله تعالى حاكياً حال الكفار في النَّار، ﴿وَنَادَوۡاْ يَٰمَٰلِكُ لِيَقۡضِ عَلَيۡنَا رَبُّكَۖ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴾[2]، ومدلول ندائهم: أنَّهم توسَّلوا بمالكٍ خازن النَّار إلى الله تعالى؛ ليسأل اللهَ تعالى ليُميتهم؛ حتى يستريحوا من شدة العذاب[3]، معَ أنَّهم أيقنوا بالخلودِ فيها ولم يشكوا فيه، وقد علموا أنه لا يُقضى عليهم[4].

فهؤلاء وهم في النَّار وعذابها، وأصوات أهلها كان لا بدَّ أنْ يُنادوا بصوتٍ عالٍ؛ حتى يُسمعوا، وكان نداؤهم مقصوداً موجَّهاً نحو (مالك)، ومع علمهم بعدم فائدة هذا النِّداء لعلَّه يكون مُتنفَّساً يُخفِّف عنهم.

٧- التَّقريع والتَّوبيخ[5]:

ومنه قوله تعالى: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدۡ وَجَدۡنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقّٗا فَهَلۡ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمۡ حَقّٗاۖ قَالُواْ نَعَمۡۚ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنُۢ بَيۡنَهُمۡ أَن لَّعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[6]، والغايةُ من مثل هذا النِّداء التسجيلُ، وفي مثل هذا اللونِ من التَّسجيل إثارةٌ لوجدان المُتشكِّكين والمنكرين في الدنيا، وإثارة الخوف في أنفسهم، حين يسمعون اعترافَ مَنْ على شاكلتهم، في مشهدٍ كأنَّهم يرونه من يوم القيامة، ويدفعهم الخوفُ إلى التأمُّل؛ عساهم يهتدون قبل أنْ يُصيبهم ما ذُكر في الآية[7].

وهنا يبدو لي ملحظان دلاليَّان آخران:

-أحدهما: سبق ذكرُه، وهو أنَّ أهل الجنَّة يرفعون صوتهم بالنِّداء؛ لكي يسمع أهلُ النَّار؛ لأنَّهم يعيشون في ضوضاء من العذاب والصّراخ، فلا يصح أن يقال -مثلا-، وقال أهل الجنَّة، ولا أنْ يقال: وخاطبَ أهلُ الجنة، إذ لابد أنْ يُرافق ذلك القول والكلام رفعٌ

(١) الأعراف: ٥٠ .
(٢) الزخرف: ٧٧.
(٣) ينظر: التَّفْسِيرُ البَسِيْط: ٢٠/ ٧٧،
(٤) ينظر: الكشاف: ٢/ ١٤.
(٥) ينظر: وظيفة الصورة الفنية في القرآن: ٣٧١.
(٦) الأعراف: ٤٤.
(٧) من بلاغة القرآن: ٢٨٢.

للصَّوت، بكلام مقصود، نحو قوم مقصودين، ولا يحمل تلك الدلالات كلّها إلَّا لفظ (النداء).

-والآخر: إنَّ في رفع الصوتِ إسماعاً لأهلِ الجنَّة؛ حتى يُدركوا عظمةَ نعمة الله عليهم بإدخالهم الجنَّة وتنجيتهم من النَّار.

ومثله في التقريع قوله تعالى:﴿ وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالٗا يَعۡرِفُونَهُم بِسِيمَىٰهُمۡ قَالُواْ مَآ أَغۡنَىٰ عَنكُمۡ جَمۡعُكُمۡ وَمَا كُنتُمۡ تَسۡتَكۡبِرُونَ ﴾ [1]، والأعراف موضعٌ بين الجنَّة والنار، وأصحابه هم من تساوتْ حسناتُ أحدهم وسيئاته، أو هم الملائكة، وقيلَ غير ذلك، وهؤلاء يُنادون أهل النَّار؛ على سبيل التَّوبيخ والتقريع والتَّأنيب على غرورهم وتكبّرهم واحتقارهم ضعفاء المؤمنين لفقرهم [2]، فيحتاجون إلى رفع الصَّوت، ويؤكد ذلك أنَّهم حين كلَّموا ربَّهم لم يأتِ كلامُهم بلفظ النداء، ولكن بلفظ القول، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ ۞ وَإِذَا صُرِفَتۡ أَبۡصَٰرُهُمۡ تِلۡقَآءَ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِ قَالُواْ رَبَّنَا لَا تَجۡعَلۡنَا مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [3]، فلا يحتاج المقامُ إلى نداء.

ولأنَّ يومَ القيامة يغلب على الحوار فيه النداءُ، فقد سمَّاه القرآن الكريم يوم التناد، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَيَٰقَوۡمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ يَوۡمَ ٱلتَّنَادِ ﴾ [4].

٨-نِداء التَّكريم:

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِيَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِي ٱلنَّارِ وَمَنۡ حَوۡلَهَا وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [5]، فالمُنادي هو اللهُ تعالى، والفعل مبني للمفعول، وقد جاء مذكوراً في سورة أخرى قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ إِذۡ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوٗى ﴾ [6]، قال الباقلاني: « فانظر إلى ما أجرى له الكلام، من علوِّ أمر هذا النِّداء، وعظم شأن هذا الثناء » [7]، فهذا النِّداءُ علوُّهُ عُلوٌّ معنويٌّ، إعلاءً لشأنِ سيِّدنا موسى عليه السلام، ورَفعاً لمكانته، ومنذ ذلك الحين لُقِّب (كليمُ الله)، وهو بهذا النِّداء ارتفعَ مقامُه الروحانيّ، وعلتْ مكانتهُ وارتفع مقامُهُ فوقَ مقام البشر، حين صارت له القدرةُ على سَماع الخالق العظيم، ومكالمته وإجابته، وهكذا تعود الدلالة المعجميَّة المحوريَّة إلى الظهور هنا، فدلالة الارتفاع وبُعدِ المدى صارت ملازمةً لمكانة سيِّدنا موسى عليه السلام، ونُبوَّتهُ كانت منذ ذلك اليوم.

وهنا نلحظُ ملحظاً تركيبيّاً له علاقةٌ بدلالة النداء، ألا وهو بناءُ الفعل للمفعول، بعد حذف الفاعل (لفظ الجلالة)؛ وذلك لأنَّ الأمر هنا ليس في سياقِ إثبات صدور النِّداء عن الله تعالى، ولكنَّه في سياق إثبات حصول النِّداء، وتعظيم المُنادي، وتشويق المُتلقِّي إلى معرفة المنادي، وبذلك يبقى متشوِّقاً إلى معرفته، فإذا استمرَّ المُتلقِّي بالقراءة، وجد التصريح

(١) الأعراف: ٤٨.
(٢) ينظر: فتوح الغيب: ٦/ ٣٩٦، البحر المحيط: ٤/ ٣٠٦، تفسير القرآن العظيم لابن كثير: ٣/ ٤٢٢، التفسير الوسيط للزحيلي: ١/ ٦٦٥.
(٣) الأعراف: ٤٧.
(٤) غافر: ٣٢.
(٥) النمل: ٨.
(٦) النازعات: ١٦.
(٧) إعجاز القرآن للباقلاني: ١٨٩.

بالمنادي في الآية التي تليها، قَالَ تَعَالَى: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾[1]، ومعرفةُ الشَّيء بعد التَّشوُّق إليه ألذُّ في النفس.

٩-نداءُ البشارة:

قَالَ تَعَالَى: ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥۖ قَالَ رَبِّ هَبۡ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةٗ طَيِّبَةًۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ٣٨ فَنَادَتۡهُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٞ يُصَلِّي فِي ٱلۡمِحۡرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحۡيَىٰ مُصَدِّقَۢا بِكَلِمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدٗا وَحَصُورٗا وَنَبِيّٗا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾[2]، فكان ثمرة عَظَمةِ دعائه، وحسن رجائه أنْ نادته جماعةٌ من الملائكة أرسلهم اللهُ إليه مُبشِّرين، وكان متهيئاً بما آتاه الله سبحانه وتعالى من الفضل لمناداة الكل، كما هو شأن حضرات الرسل -عليهم السَّلام-[3].

ويبدو لي أنَّهُ اختار النِّداء فقال: فنادته، ولم يقلْ (فقالت لهُ)؛ إظهاراً لتمام المعجزة، فكأنَّهُ يقول: نادتْهُ الملائكةُ بصوتٍ مُرتفعٍ معلومٍ واضحٍ مفهوم مقصودٌ لا لبسَ فيه، ولا امتراء ولا شكَّ، ولو قيل: قالت، لأمكنَ تأويلهُ على فَعَلَتْ، أو أشْعَرَتهُ بالبشارة.

١٠-نداءُ المواساة والتَّهدئة:

قال تعالى عن سيِّدنا عيسى عليه السلام ﴿فَنَادَىٰهَا مِن تَحۡتِهَآ أَلَّا تَحۡزَنِي قَدۡ جَعَلَ رَبُّكِ تَحۡتَكِ سَرِيّٗا﴾[4]، يعني ناداها سيِّدنا عيسى عليه السلام[5].

أمَّا دلالة اختيار لفظ النِّداء دون غيره مثل: فقال لها، فقد أشار إليه الزجاجُ بقوله: « ويكون المعنى في مناداة عيسى لها أن يبين الله لها الآية في عيسى، وأنَّه أعلمها أن اللَّه - عزَّ وجلَّ - سيجعل لها في النخلة آية»[6].

إذن اختيار لفظ النِّداء ليكون دالًّا على تمام المعجزة التي خصَّ الله تعالى بها سيِّدنا عيسى عليه السلام؛ لأنَّهُ أوَّلاً: نادى، والنِّداء دليل كمال الجهاز النطقي، وثانياً: لم يكن صارخاً صراخاً بلا معنى كما تفعل سائر الأطفال في مثل ذلك الموقف، ولكنَّ كلامه كان كلاماً مقصوداً موجَّهاً نحو أُمِّهِ، وهو كلامٌ ذو معنى ودلالة حقيقية وفائدة معلومة.

وهناك فائدةٌ أخرى لاختيار النِّداء، وبما أنَّه مُخاطبةٌ برفع الصَّوتِ كما أسلفنا، فإنَّ السبب في اختيار هذه الطريقة في المخاطبة هي كون أمِّه السيدة مريم-عليها السَّلام- كانت في حالةٍ من الألم والخوف من النَّاس، حتى أنَّها قالت: ﴿يَٰلَيۡتَنِي مِتُّ قَبۡلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسۡيٗا﴾[7]، فكان لا بدَّ من صوتٍ قويّ تُعادل قوَّتُهُ قوةَ الخوف والألم، فيكون تأثيرها النفسي يفوق حال الألم الذي أصابها؛ حتى يزيلَ كلَّ تلك المشاعر المؤلمة التي عاشتها، ألا ترى أنَّنا حين نجد إنساناً مشغولاً

(١) النمل: ٩.
(٢) آل عمران: ٣٨ - ٣٩.
(٣) ينظر: نظم الدرر: ٢/ ٧٦.
(٤) مريم: ٢٤.
(٥) وهو الراجح عند الطبري لأسبابٍ ذكرها. ينظر: جامع البيان: ١٨/ ١٧٤.
(٦) معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٣/ ٣٢٥.
(٧) مريم: ٢٣.

بتفكيرٍ مؤلمٍ نصيحُ به لنُخرجه من حالته النفسية؟!، فهذه من تلك.

١١-نِداءُ التَّوسُّل رجاءَ الشَّفاعة:

ومنه نداءُ المنافقين للمؤمنين بعد أنْ حيلَ بين الفريقين يوم القيامة بسورٍ من حديد، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴿١٣﴾ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِىُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴾[1]، المرادُ: يُنَادِي الْمُنَافِقُونَ الْمُؤْمِنِينَ يَومَ القيامةِ حِينَ حُجِزَ بَيْنَهُمْ بِالسُّورِ الذي لا يَسْتطيعُ أحدٌ اجْتيازهُ، فَبَقَوْا فِي الظُّلْمَةِ وَالْعَذَابِ، وَصَارَ الْمُؤْمِنُونَ فِي الْجَنَّةِ ونَعيْمها، ومؤدَّى قولهم: أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ فِي الدُّنْيَا نُصَلِّي وَنَصُومُ، وَنُنَاكِحُكُمْ وَنُوَارِثُكُمْ، ونفعلُ معكمُ الخيراتِ؟ فيُجيبُ الْمُؤْمِنُونَ: بَلَى، كُنْتُمْ كَذَلِكَ، وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ، فَنَافَقْتُمْ فِي إظهارِ الإيمانِ وإبطانِ الكُفران، وَهذا هُو الذيْ حالَ بيْننا وبَينكم[2].

ويبدو أنَّهُ اختارَ النِّداء دون غيره؛ لأنَّ المنافقين كانوا في عذاب، وأصوات صراخهم تتعالى، وسياط الملائكة تصيبهم، ومع ذلك فهم مُحاطونَ بسورٍ عالٍ عظيمٍ، فكيف يسمعُ نداءَهم مَنْ وراء السُّور إذا لَمْ يرفعوا أصواتهم؟!

إذن لا بدَّ أنْ تتعالى الأصواتُ إلى أعلى ما يكون فتكون (نداءً) لا قولاً، ولا صُراخاً بلا معنى، ولولا أنَّ تعالي تلك الأصواتِ حاصلٌ لَمَا سَمعهم مَنْ وراء السُّور، فأجابوهم بالقول: ﴿ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ ﴾ مِن

١٢-النِّداء المُسبَّب للإساءة:

وهو ما ذكره القرآنُ الكريمُ بقوله مُخاطباً سيِّدنا رسول الله ﷺ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾[3]، وهذا النِّداء هو رفعُ الصَّوتِ المُحبط للعمل، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ وَلَا تَجْهَرُوا۟ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾[4]، وسبب نزول الآية أنَّ نَاساً أتوا سيِّدنا النَّبِيَّ ﷺ وَسَلَّمُوا فَجَعَلُوا يُنَادُونَهُ وَهُوَ فِي الْحُجْرَةِ: يَا مُحَمَّدُ، يَا مُحَمَّدُ اخرجْ إلينا[5].

فهؤلاء أقبلوا يصيحون[6]، وَرَفعُ الصَّوتِ فيهِ إساءةٌ بالغةٌ لحضرة سيِّدنا الرَّسول ﷺ، فلا يجوز رفع نبرة الصَّوت حتى فوق النَّبرة التي يتحدَّث فيها إنْ كان يتحدَّث، ونلحظُ أنَّ الفعل جاء مُضارعاً، فلم يقل (نادوك)، وإنَّما قال ينادونك؛ وذلك لقصد احضار مشهد النِّداء والإساءة أمام العين[7]، فكأنك

(١) الحديد: ١٣ - ١٤.

(٢) ينظر: جامع البيان: ٢٢/ ٤٠٤.

(٣) الحجرات: ٤.

(٤) الحجرات: ٢ .

(٥) ينظر: أسباب نزول القرآن للواحدي: ٤٠٣.

(٦) ينظر: المعجم الاشتقاقي المؤصل: ٤/ ٢١٧٠.

(٧) ينظر: معاني النحو: ٣/ ٣٢٨.

تشاهد الأعراب يصيحون متجاوزين كلَّ حدود الأدب.

١٣-النِّداء الدَّالّ على استنهاض الهِمم والعَجلة:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا۟ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسْتَثْنُونَ ﴿١٨﴾ فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَٰٓئِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾ فَتَنَادَوْا۟ مُصْبِحِينَ ﴾[١]، وهذه الآيات -باختصار- تحكي قصَّة جماعةٍ من الرِّجال كانت لأبيهم حدائق ومزارع غنَّاء، يُنفق منها على الفقراء والمساكين، فلمَّا مات أقسموا ليلاً أنْ يقطفوا كلَّ ثمرها؛ لئلا يأتي الفقراءُ صباحاً فيأخذوا شيئاً، فلمَّا حلَّ الصَّباح وجاؤوها وجدوها قد احترقت وصارت رماداً[٢].

ونلحظ أنَّ الفعل (تَنادَوا) جاء بصيغة (التفاعل)، وهي صيغة تدلُّ على المشاركة بين اثنين وبين الجماعة[٣]، ومدلولها نادى كلٌّ منهم الآخر[٤]، وهو يصوِّرُ لنا، أو لنقل: ينقلنا إلى مشهدٍ حيٍّ، نراه ونسمع ما فيه من نداء، وهو مشهدٌ قد نراه كثيراً في حياتنا اليومية، مشهد انطلاق جماعةٍ من الشَّباب لأداءِ عملٍ جماعيٍّ في أقصر وقتٍ، وهو في هذه الآية صياح بعضهم على بعض واستنهاض بعضهم بعضاً، واستحثاث بعضهم بعضاً وتداخل أصواتهم، وتمازجها، حتى كأنَّ أصواتهم يُقوِّي بعضُها بعضاً، كالموجةِ الصَّوتيَّة التَّصاعديَّة، كلُّ ذلك ليغتنموا الفرصة لقطفِ جميع الثِّمار، وكلُّ ذلك له مدلولٌ نفسيٌّ على شدَّة البُخل والحرص على الدنيا التي تجعل صاحبها يفقد السيطرة على صوته.

هذه أبرز السياقات التي ورد فيها لفظ النِّداء ومشتقاته، وما سواه ممَّا لم نذكره من الآيات يرجع إليه.

المبحث الثَّاني: الصِّياحُ

الصِّياحُ: الصَّوتُ؛ وصوتُ كُلِّ شَيْءٍ إذا اشْتَدَّ، يُقالُ: صاحَ يَصِيحُ صَيْحة وصِياحاً وصُياحاً، بالضَّمِّ، وصَيْحاً وصَيَحاناً، بالتَّحْريك، وصَيّحَ: صَوَّتَ بأَقصى طَاقَتِه، يَكُونُ ذَلِكَ فِي النَّاسِ وَغَيْرِهِمْ[٥]، قال ابن فارس: «الصَّادُ وَالْيَاءُ وَالْحَاءُ أَصْلٌ صَحِيحٌ، وَهُوَ الصَّوْتُ الْعَالِي. مِنْهُ الصِّيَاحُ، وَالْوَاحِدَةُ مِنْهُ صَيْحَةٌ»[٦].

أمَّا الدلالة المحوريَّة للصّياح فقد أجمَلَها الدكتور محمد حسن حسن جبل بقوله: « المعنى المحوري بلوغ الشيء أقصى غايته نفاذًا من العمق ارتفاعًا أو نموًّا مع قوة أو جفاف، كوجه الجبل الموصوف، وحائطي الوادي، وخروجُ العقود كاملًا هو ارتفاع إلى أقصى نموه، ومنه الصياح: الصوت الشديد»[٧]، وقال في تعريفه أيضاً: «صوت يخرج ممتدًا من الجوف بالغًا

(١) القلم: ١٧ - ٢١.

(٢) ينظر: جامع البيان: ٢٣/ ٥٤٣، معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٥/ ٢٠٧، بحر العلوم: ٣/ ٤٨٤.

(٣) ينظر: فقه اللغة وسر العربية: ٢٥٨.

(٤) ينظر: نظم الدرر: ٨/ ١٠٥.

(٥) العين: (الصاد والواو والحاء): ٣/ ٢٧٠، المحكم والمحيط الأعظم: ٣/ ٤٢١، لسان العرب: فصل الصاد: ٢/ ٥٢١.

(٦) مقاييس اللغة: ٣/ ٣٢٤.

(٧) المعجم الاشتقاقي المؤصل: ٣/ ١١٩٦.

غاية الشدّة»[1].

وقد وردت مادة الصِّياح في القرآن الكريم ثلاث عشرة مرَّة، كلَّها بلفظ الاسم (الصَّيحة)، وكلُّها في سياق العذابِ إلَّا موضعين يكادان يختلفان عن باقي المواضع.

١- للدَّلالة على الصِّياح بمعناه العام:

وقد وردَ في موضعٍ واحدٍ، قال تعالى في وصف المنافقين: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾[2]، ومدلول الآية: كلّما صاح صائحٌ، ظنُّوا أن ذاك أمرٌ عليهم؛ جُبْنًا منهم، إذ يحسب هؤلاء المنافقون من خُبثهمْ وسوء ظنِّهم، وقلة يقينهم كلّ صيحةٍ يصيحها صائحٌ أنَّها عليهم؛ لأنَّهم على وجلٍ أن يُنزل اللهُ فيهم أمراً يهتك به أستارَهم ويفضحهم، ويبيحُ للمؤمنين قتلهم[3].

أمَّا الملمح الدلالي من اختيار الصياح دون غيره فقد ذهب الرَّاغب الأصفهاني إلى أنَّهُ المُبالغة في وصف الفزع[4]، وقال عنه عبدالرحمن حبنكة: « ففي هذا إبراز بارعٌ جدّاً، وتصويرٌ بديع لحالة الذُّعر الشديد الذي يعانون منه في داخل أنفسهم، وقد دلّ على هذه الحقيقة المبالغة؛ لأنّ الخائفَ المذعور جدّاً قد يسمع صياح المُنْجِد له فيتصوّره صياحاً ضدّه»[5].

٢- للدلالة على عقوباتٍ لأقوامٍ وإهلاكهم في الدنيا:

وهو الأكثر والأغلب، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُرْسَلِينَ ﴿٨٠﴾ وَآتَيْنَاهُمْ آيَاتِنَا فَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٨١﴾ وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا آمِنِينَ ﴿٨٢﴾ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ ﴾[6] فالصَّيحةُ الهَلَكَة، والمقصود صيحةُ الهلاك وهذه الصَّيحة من اللَّه تعالى أحدثت رجفةً وعذاباً، أدَّاهم إلى الهلاك والدمار[7].

ومنه ما جاء في سياق إهلاك قوم ثمود، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴿٦٦﴾ وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴾[8]، أي: وَأَخَذَتِ هؤلاء العُتاةُ المُشركينَ المُتمرِّدين الصَّيْحَةُ مِنَ السَّمَاءِ، أَخْمَدَتْهُمْ فَأَهْلَكَتْهُمْ بِكُفْرِهِمْ بِرَبِّهِمْ، وَقِيلَ: إِنَّ جِبْرِيلَ عليه السلام، قد صَاحَ بِهِمْ صَيْحَةً أَخْرَجَتْ أَرْوَاحَهُمْ مِنْ أَجْسَامِهِمْ، فَخرُّوا عَلَى رُكَبِهِمْ، وَأصبحُوا صَرْعَى بِأَفْنِيَتِهِمْ، لا يَقدرونَ على حركةٍ أبداً، قَدْ مَاتوا فَصاروا كأنْ لم يكونوا في الدُّنيا قطُّ، ويقال: كأنْ لم يَنزلوا في ديارهم يوماً أو يَسكنوها، ولم يكونوا أصلاً[9].

---

(١) المعجم الاشتقاقي المؤصل: ٣/ ١١٩٦.

(٢) المنافقون: ٤.

(٣) ينظر: غريب القرآن لابن قتيبة: ٤٦٨، جامع البيان: ٢٣/ ٣٩٥.

(٤) ينظر: محاضرات الأدباء: ٢/ ٢٠٦.

(٥) البلاغة العربية: ١/ ٩٤.

(٦) الحجر: ٨٠ - ٨٣.

(٧) مجاز القرآن: ١/ ٣٥٤، زهرة التفاسير: ٨/ ٤١٠٥.

(٨) هود: ٦٦ - ٦٧.

(٩) ينظر: جامع البيان: ١٥/ ٤٦٤، معاني القرآن وإعرابه

وقد سبق أنْ ذكرنا أَن الصياح رفع الصَّوْت بِمَا لَا معنى لَهُ، فتعذيبهم كان بالصَّيحة؛ لأنَّ المقصود الصَّوت الشَّديد المُهلك، لا صوتٌ فيه معنى، فالحكمة من اختيار لفظ الصَّيحة هنا؛ لأنَّها أقوى للأسماع صَكّاً وقَرْعاً، وأبلغ في القلوب وجَلاً وَرَوْعاً[1].

ونلحظ في هذا الموضع عدمَ إلحاق تاء التأنيث بالفعل، مع أنَّ ما أُسند إليه من لفظ الصيحة جاء مؤنثاً، قال ابن الأنباري: «إنَّما ذَكَّرَ ﴿وَأَخَذَ﴾؛ لأنَّ الصيحة محمولةٌ على الصياح»[2]، وهو يعني أنَّ الصِّياح قد تكرَّرَ واستطال؛ لما أصبحوا اليوم الرابع أتتهم صيحة من السماء فيها صوت كلِّ صاعقة، وصوت كل شيء في الأرض، فتقطعت قلوبُهم في صدورهم[3].

والتَّذكير هنا جاء موافقاً للسياق لوصفِ الصَّيحة بالشِّدَّة؛ لِما عُلمَ من شدَّة المُذكَّر بخلاف المؤنث[4].

٣- للدَّلالةِ على صَيحةِ المَلَكِ للبعثِ والنُّشور:

وقد ورد مرَّتين[5]:

- إحداهما: صَيحة النَّفخة الأُولى من إسرافيل عليه السلام: **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ﴾[6]، قال عبدالسلام أحمد الراغب: « والتَّصوير الفنِّي يرسم هنا مشاهدَ متعددةً، مترابطةً في السِّياق، ومتفاعلة أيضاً؛ لتحقيق الأثر الدينيِّ منها. ويعرض القرآنُ مشهدَ المكذبين، وهم يتساءلون باستنكار وشكٍّ عن ذلك اليوم، وكأنّه مشهد حيٌّ حاضرٌ من خلال الفعل المضارع «يقولون» على طريقة القرآن في إحياءِ المشاهد واستحضارها. وفجأةً ينتقل السياق إلى مشهد الصيحة المباغتة لهم، وهم على هذه الحالة من الجدل والخصام والاستنكار، فنراهم في هذا المشهد أمواتا لا يتحركون، وصورة عجزهم في هذا المشهد، تقابل صورة استنكارهم، واعتزازهم بأنفسهم، فهم عاجزون بعد الصَّيحة حتى عن الرجوع إلى أهليهم، أو كتابة توصية لهم، وهذا الانتقالُ المفاجئ من مشهد الحياة إلى مشهدِ الفناء، يوحي بقرب الفناء ومباغتة الساعة لهم، وهم غافلون عنها، في الجدل والمُخاصمة والشَّكِّ»[7].

-والأخرى: صيحة النفخة الثانية من إسرافيل عليه السلام: **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٤١﴾ يَوْمَ يَسْمَعُونَ ٱلصَّيْحَةَ بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ﴾[8].

ويبدو لي أنَّه سمَّاها صيحةً في الموضعين؛ تأكيداً على سَماع المخلوقاتِ كلِّهم لهم، وقيامهم لحساب ربِّ العالمين؛ لأنَّ مَنْ لا سمعَ له ولا شعورَ لهُ لا يُصاحُ به.

للزجاج: ٣/ ٧٥، معاني القرآن للنحاس: ٣/ ٣٧٧، بحر العلوم: ٢/ ١٦٠.

(١) ينظر: الموسوعة القرآنية، خصائص السور: ٤/ ١١٢.

(٢) تهذيب اللغة: مادة (صاح): ٢/ ١٩٥٨، التَّفْسِيرُ البَسِيْط: ١١/ ٤٦٤، زاد المسير: ٢/ ٣٨٤.

(٣) التَّفْسِيرُ البَسِيْط: ١١/ ٤٦٤.

(٤) ينظر: تفسير الشعراوي - الخواطر: ١١/ ٦٥٤٤.

(٥) ينظر: التصاريف لتفسير القرآن: ٢٤٠.

(٦) يس: ٤٩.

(٧) وظيفة الصورة الفنية في القرآن: ٣٢٩.

(٨) ق: ٤١ - ٤٢.

المبحث الثَّالث: الصُّراخ

الصُّراخ: الصِّياحُ، تقول: صَرَخَ صَرْخَةً واصْطَرَخَ، بمعنىً، والتَصَرُّخُ: تكلُّف الصُرَاخ، والصُّراخُ الصِّياحُ الشَّديد عند المصيبةِ والفزع، وَيُقَالُ: الصَّارِخُ: صوت الْمُسْتَغِيثُ إذا صرخ بقومه للإغاثةِ، وَالصَّارِخُ: الْمُغِيثُ، وَيُقَالُ: بَلِ الْمُغِيثُ مُصْرِخٌ[1].

وهنا لا بدَّ من وقفةٍ، فإنِّي أرى أنَّ الصُّراخ بجرسهِ الصَّوتي أشدُّ من الصِّياح، نعم كلاهما يبدأ بالصَّاد وهو حرف مجهورٌ من حروف الصَّفير، لكنَّ الرَّاء وهو من حروف التكرير يمنحُهُ بُعداً دلاليّاً آخر، فكأنَّهُ صياحٌ مُكرَّر، والخاءُ في آخره تمنحهُ نغمةً غير مُستساغةٍ في الأذن، ألا ترى أنَّنا إذا أُزعجنا من صوتِ أحدهم قلنا له: لماذا تصرخ؟!.

وبناءً على ذلك فإنِّي أرى أنَّ الصّراخ هو صياحٌ مُكرَّرٌ من حيث نغمة الصَّائح، وفيه نغمةٌ مزعجةٌ لا تستسيغها الأُذن.

وقد وردت مادة (صرخ) ومشتقاتها في القرآن الكريم خمس مرَّات.

١- **صُراخ أهل النَّار:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ ۖ فَذُوقُوا۟ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴾[2] وقولهُ (يَصْطَرِخُونَ) يفتعلون من الصراخ؛ حُولتْ تاؤها طاءً؛ لقرب مخرجها من الصاد لما كانتِ الصَّاد أقوى من التَّاء[3]، وهذا ما يُسمَّى في علم اللغة الحديث بالتأثير التقدمي، حين أثَّرتِ الصاد على ما تقدَّمَها وهو التاء[4]، ومعناه: يستغيثون فيها ويضجون، ويصيحون بجهد وشدّة ويسألون الرجعة إلى الدنيا ليعلموا صالحاً[5].

وقد علَّلَ الرازيّ سبب اختيار لفظ الصّراخ دون غيره، بأنَّ الصُّرَاخَ صَوْتُ الْمُعَذَّبِ خاصَّة[6].

ونحنُ نلحظ أنَّه استعمل صيغة افتعلَ، وهي صيغة موحيةٌ في هذا السياق، وقد علَّل السيوطي ذلك بأنه أبلغ من (يصرخون)؛ للإشارة إلى أنهم يصرخون صراخاً منكراً، مُتعالياً، خارجاً عن الحد المعتاد [7].

ويرى باحثٌ معاصرٌ أنَّ هذه اللفظة تدلُّ بترتيب حروفها على مضمونها، وأنَّ الفعل(يصطرخون) لا يوحي بالصُّراخ فحسب، ولكنَّه يوحي أيضاً بالصُّراخ الذي يتعالى شيئاً فشيئاً؛ وذلك لأنَّ الصاد جرسها قوي، والطاء التي تليها جرسُها أَقْوى وأعلى، وهذا التعالي يشبه تعالي صُراخهم، فضلاً عن أنّه يوحي

(١) الصحاح: مادة (صرخ): ١/ ٤٢٦، مقاييس اللغة: ٣/ ٣٤٨. أساس البلاغة: مادة (صرخ): ١/ ٥٤٣، تاج العروس: مادة (صرخ): ٧/ ٢٩١. معجم متن اللغة : ٣/ ٤٤٠.

(٢) فاطر: ٣٧.

(٣) ينظر: جامع البيان: ٢٠/ ٤٧٧، بحر العلوم: ٣/ ١٠٤، المحرر الوجيز: ٤/ ٥٠٧.

(٤) ينظر: الفكر اللغوي عند العرب في ضوء علم اللغة الحديث: ١٠٢.

(٥) ينظر: الهداية: ٩/ ٥٩٨٦، الكشاف: ٣/ ٦٢٤.

(٦) ينظر: مفاتيح الغيب: ٢٦/ ٢٤٢.

(٧) ينظر: الإتقان: ٥/ ١٧٤٥.

بتداخل تلك الأصوات واصطدام بعضها ببعض، ووجود الراء بعد الطاء يوحي بتكرار ذلك الصُّراخ[1].

٢- **صُراخُ الاستغاثة:**

والشَّاهد هنا متعلّق بعدة آيات قبله في جانبٍ من قصَّة سيِّدنا موسى عليه السلام؛ ولذلك سنوردها، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦﴾ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴿١٧﴾ فَأَصْبَحَ فِى ٱلْمَدِينَةِ خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا ٱلَّذِى ٱسْتَنصَرَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُۥ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰٓ إِنَّكَ لَغَوِىٌّ مُّبِينٌ ﴾[2]، ودلالةُ يستصرخه التي ذكرها معظمُ المفسرين هي يستغيثُ به[3].

وهذه هي الدلالة العامَّة أمَّا الدلالة الدقيقة فإنَّها تتبين عند معرفة دلالة صيغة (استفعل)، فهي تكون بمعنى التكلف في الاستدعاء والطلب[4]، بمعنى التماسه والسَّعي فيه والحرص على وقوعه[5]، ويترتَّب على ذلك أنَّ ذلك الرجلَ الذي استغاث بسيدنا موسى عليه السلام كان قد بالغَ في الصُّراخ وتكلَّفَ فيه؛ لأنَّ المقام يستدعي ذلك، فهو خائفٌ من القتل، ولا شيءَ أشدَّ من الموت يُخافُ منه.

٣- **صُراخ الإغاثة[6]:**

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنقَذُونَ ﴾[7]، وقد أجمع المفسِّرون على أنَّ المُراد بالصَّريخ المُغيثُ، وصريخٌ بمعنى مُصرخ: أي مغيث. يقال صرخ الرجل إذا صاحَ، وأصرخ إذا أغاث وأعان، فهو مُصْرِخ والأول صارخ[8]، وأنَّ مدلولَ الآية الكريمة: وَإِنْ نَشَأْ نُغْرِقُ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ إِذَا رَكِبُوا السُّفنَ فِي الْبَحْرِ فَلَا مُغِيثَ لَهُمْ إِذَا نَحْنُ غَرَّقْنَاهُمْ يُغِيثُهُمْ، فَيُنْجِيهِمْ مِنَ الْغَرَقِ[9].

أمَّا سبب اختيار تركيب (لا صريخ) دون غيره ودلالته، فقد قال عنها الرازي: « وهي أنه تعالى قال لا صريخ لهم وَلَمْ يَقُلْ وَلَا مُنْقِذَ لَهُمْ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ مَنْ لَا يَكُونُ مِنْ شَأْنِه أَنْ يَنْصُرَ لا يشرع في النصرة؛ مَخَافَةَ أَنْ يُغْلَبَ وَيَذْهَبَ مَاءُ وَجْهِه، وَإِنَّمَا يَنْصُرُ وَيُغِيثُ مَنْ يَكُونُ مِنْ شَأْنِه أَنْ يُغِيثَ فَقَالَ لَا صَرِيخَ لَهُمْ »[10]

والرازي هنا يُركِّز على (لا) النافية للجنس التي نفتْ أيَّ جنسٍ من أجناس الإغاثة، ولكنَّهُ لم يبيِّن

(١) الإيحاء الصوتي وأثره في رسم الصورة الفنية في القرآن الكريم: ٣٠٠.
(٢) القصص: ١٥ – ١٨.
(٣) غريب القرآن لابن قتيبة: ١/ ٢٨١،معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٤/ ١٣٧، جامع البيان: ١٩/ ٥٤٣
(٤) ينظر: فقه اللغة وسر العربية: ٢٥٨، الصاحبي: ١٧٠.
(٥) ينظر: الخصائص:٢/ ١٥٦.
(٦) ينظر: معاني القرآن للفراء: ٢/ ٣٧٩.
(٧) يس: ٤٣.
(٨) ينظر: مجاز القرآن: ٢/ ١٦٢، غريب القرآن لابن قتيبة: ٣٦٥، غريب القرآن للسجستاني: ٣٠١، الهداية: ٩/ ٦٠٤٢، الوسيط: ٣/ ٥١٥.
(٩) ينظر: جامع البيان: ١٩/ ٤٤٧.
(١٠) مفاتيح الغيب: ٢٦/ ٢٨٦.

سبب اختيار (الصريخ) بهذه البنية اللفظيَّة والصَّرفيَّة.

ولو تأمَّلنا بنيتها الصرفية لوجدناها على وزن (فعيل)، قال الدكتور فاضل السامرائي: «وهو في المبالغة يدلّ على معاناة الأمر وتكراره، حتى كأنَّه أصبح خِلقةً في صاحبه وطبيعةً»[1]، ويترتَّب على ذلك-فيما يبدو لي- أنَّ عذاب الله لو نزل بهؤلاء فلن يُنقذهم حتى مَنْ كانت سجيَّتُهُ وطبيعتهُ الخَلْقيَّة هي الإغاثة؛ لأنَّ سيرى الإهلاك مُدمِّراً فلا يُجازف في مُحاولةِ ردِّه.. هذا من حيث البِنية الصرفيَّة.

أمَّا سبب اختيار مادة (الصراخ) دون الإغاثة كأنْ يُقال: (فلا مغيث)، فيبدو لي أنَّهُ للمُشاكلة والمناسبة؛ لأنَّ المعلوم أنَّ الإنسان إذا حلَّ بهِ الهلاك سيلجأُ للصِّياح والصُّراخ، والصراخُ أوقعُ في الآذان؛ لعلَّه يجدُ ملجأً ومنجىً، وهناك بُعدٌ دلاليٌّ آخر يتمثَّل في أنَّ الغاية أنْ لا أحدَ يصرخُ لأجلهم؛ لأنَّ الصريخ بمعنى الصَّارخ، فلا أحدَ يتألم عليهم، قال الدكتور علاء إسماعيل الحمزاوي: «وإنما سمّي المغيث والمستغيث صريخا؛ لأنَّ كليهما يصرُخ بصاحبه؛ هذا بالدعاء، وذلك بالإجابة»[2].

ويُمكننا القول أيضاً أنَّ المرادَ فلا يستطيعونَ صرخةً؛ لأنَّ العذاب سيفاجئهم، فلا وقتَ للصُّراخ.

ومن الصّراخ الذي له مسيس دلالة بالإغاثة ما جاء في قوله تعالى في وصفِ أحدِ مشاهدِ يوم القيامة:﴿ وَقَالَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمۡ وَعۡدَ ٱلۡحَقِّ وَوَعَدتُّكُمۡ فَأَخۡلَفۡتُكُمۡۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيۡكُم مِّن سُلۡطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوۡتُكُمۡ فَٱسۡتَجَبۡتُمۡ لِيۖ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُمۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصۡرِخِكُمۡ وَمَآ أَنتُم بِمُصۡرِخِيَّ إِنِّي كَفَرۡتُ بِمَآ أَشۡرَكۡتُمُونِ مِن قَبۡلُۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴾[3]، والمعنى هنا أيضاً ممَّا أجمع اللغويّون والمفسرون على أنَّ دلالته مَا أَنَا بِمُغِيثِكُمْ فأُخرجكم مِنَ النَّارِ، وَمَا أنتُم بمُغيثيَّ فتُخرجوني مِنَ النَّار[4].

والمُصرِخ اسم فاعل من أصرخَ المزيد بالهمزة، وهو يدلُّ على مَنْ أحدثَ الفعل، ويمكن أنْ يتضمَّن الدلالة على أنَّ الشيطان لن يصرخ لأجلهم؛ لأنَّهم هم مَن أطاعوه، كما أنَّم لن يصرخوا لأجلهِ لأنَّهُ هو المُضلّ وسبب دخولهم النَّار، وممَّا نلحظهُ دخول الباء على (مُصرخ) في الموضعين، وقد قال كلُّ النحويين: « أُدخلت الباء في الخبر مشددة للنفي مؤكدة له»[5].

كما يُمكن أنْ يكون المعنى لا أصرخُ لأجلكم؛ لأنِّي مشغولٌ بالعذاب، كما أنَّكم لا تصرخون لأجلي لأنَّكم مشغولون بهِ أيضاً.

(١) معاني الأبنية: ١٠٢-١٠٣.

(٢) الأمثال العربية والأمثال العامية مقارنة دلالية: ١٤٦.

(٣) إبراهيم: ٢٢.

(٤) ينظر: تفسير مجاهد: ٤١١، مجاز القرآن: ١/ ٣٣٩، معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٣/ ١٥٩، بحر العلوم: ٢/ ٢٤٠، الأضداد لابن الأنباري: ٨١، المحكم والمحيط الأعظم: (الخاء والصاد واللام): ٥/ ٥٧.

(٥) اللامات: ٧٣.

وهنا نلحظُ ملحظاً عامّاً على الصُّراخ، وهو ملحظٌ له علاقة بالدلالة المعجميَّة المحوريَّة، وهو أنَّنا نلحظ أنَّ الصراخ كلَّه جاء في سياق العذاب أو محاولة الخلاص منه، والإنسان إذا كان معذَّباً فإنَّهُ يُصدر أصواتاً مفهومه، وهي ما يسمى (الصياح)، ويصدر أصواتاً غير مفهومة بسبب شدَّة العذاب والألم، أو الخوف من شدَّة العذاب والألم، وهو (الصراخ)، فالصراح يشتمل على الصياح والصراخ، على الكلام المفهوم، وغير المفهوم.

المبحث الرَّابع: الجَأرُ

جاء في المعاجم: جَأَرَ الدّاعِي يَجْأَرُ جَأْراً وجُؤَاراً، بالضمّ: ضَجَّ وَرَفَعَ صوتَه بالدُّعاءِ والتَّضرُّع والاستغاثة والاستكانة، وبات له جؤار، وهو جَأّارٌ بالليل[1]، وهناكَ من ذكرَ أنَّ أصل الجؤار صوت العجل[2] وأضاف الفيروز آبادي قائلاً: « وأَمّا الجَأَر بالهمزة، فهو الإفراط في الدّعاءِ والتضرّع؛ تشبيهاً بجوار الوَحْشِيَّات؛ كالظِّباءِ وغيرها »[3].

وقد وردت مادة (جأر) ومشتقاتها في القرآن الكريم ثلاث مرَّات، كانت متقاربة الدلالة، وإنِ اختلفت فيها السياقات، وفيما يأتي بيان دلالاتها:

١- **دلالته على الدُّعاء:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴾[4]، قال الطبريُّ: « يَقُولُ: فَإِلَى اللَّهِ تَضِرُخُونَ بِالدُّعَاءِ وَتَسْتَغِيثُونَ بِهِ؛ لِيَكْشِفَ ذَلِكَ عَنْكُمْ وَأَصْلُهُ: مِنْ جُؤَارِ الثَّوْرِ، يُقَالُ مِنْهُ: جَأَرَ الثَّوْرُ يَجْأَرُ جُؤَارًا، وَذَلِكَ إِذَا رَفَعَ صَوْتًا شَدِيدًا مِنْ جُوعٍ أَوْ غَيْرِهِ»[5].

وهنا أقول: إنَّ الخطاب للكفَّار، يدلُّنا على ذلك أنَّه قال بعد هذه الآية: ﴿ ثُمَّ إِذَا كَشَفَ ٱلضُّرَّ عَنكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴾[6]، وبناءً عليه يبدو لي أنَّه اختار الجأرَ؛ للدلالة على أنَّ الكُفَّار كانوا إذا أصابهم البلاء عادوا إلى الفطرة البهيميَّة، كما أنَّ الحيوان يعرف ربَّه وينادِيه، فيكون ذلك التعبير على سبيل الاستعارة المكنيَّة، والمعنى صرتم كالثَّور في النِّداء، يقصد الاستغاثة ولا يُحسن التعبير عنها بلفظٍ يُفصحُ عن مراده، فلا يقصد توحيدَ ربِّه، وهو يُنادي ربَّه بملء حُنجرته، لا من صميم قلبه.

٢- **دلالته على الجزع**

والمرَّتان الثانية والثالثة لورود هذا اللفظ جاء في آيتين متتابعتين تتحدَّثان عن الكُفَّار أيضاً، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِٱلْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْـَٔرُونَ ﴿٦٤﴾ لَا تَجْـَٔرُوا۟ ٱلْيَوْمَ ۖ إِنَّكُم مِّنَّا لَا تُنصَرُونَ ﴾[7]، والمعنى يَضِجُّون ويَسْتَغِيثُون بالله ممَّا حلَّ بهم من عذابٍ، ويَصْرُخُونَ

(١) المحكم والمحيط الأعظم: مادة (أجر): ٧/ ٤٨٣،أساس البلاغة: ١مادة (جأر) : / ١١٩، تاج العروس: ١٠/ ٣٦٤.
(٢) ينظر: غريب القرآن لابن قتيبة: ٢٤٣.
(٣) بصائر ذوي التمييز: ٢/ ٤٠٩.
(٤) النحل: ٥٣.
(٥) جامع البيان: ١٤/ ٢٥١.
(٦) النحل: ٥٤ .
(٧) المؤمنون: ٦٤ – ٦٥.

إِلَى اللَّهِ بِالتَّوْبَةِ فَلَا تقبل مِنْهُم[1]، فيقول الله تعالى: لا تضجوا ولا تتضرعوا اليوم، إنَّكم من عذابنا لا تمنعون، ولا ينفعُكم تضرُّعُكم[2].

ولفظ الجؤار هنا يتضمَّن الدلالة على الجزع؛ لأنَّه تزامن مع حلول العذاب الإلهيَّ[3]، بخلاف الضُّرّ؛ فالمُرادُ بهِ البلاء والمُصيبة[4]، وهما دُونَ العذاب؛ لأنَّ العذاب يعني النهاية، أمَّا البلاء والمصيبة فلهما وقتٌ معلوم يُكشفان بعده.

ويبدو أنَّ القرآن الكريمَ أراد باختيار هذا اللفظ ذمّ الكفَّار، وبيان قلَّة عقولهم حتى في وقت شدائدهم، فإنَّهم حين يلجؤون إلى الله لا تعدو استغاثتهم أن تكونَ أصواتاً بلا معنى، أصواتاً كأصوات البهائم، ليس فيها لجوء حقيقيٌّ إلى الله تعالى.

الخاتمة

- ورد لفظ (النِّداء) ومشتقاته إحدى وخمسين مرَّة، تنوَّعت بين الصيغ الاسميَّة والفعليَّة ما خلا صيغة الأمر، وقد ورد في سياقاتٍ عدَّة، وجاءت له دلالات مختلفة، منها مُجرَّد صوتٍ بالنِّسبة للمَدعوِّ الذي لا يعقل شيئاً سوى صوتٍ يقرعُ سمعَه، أمَّا في حقيقته فهو دعوة إلى الحقِّ، ومنها إفادة الاستمرار بالدعوة إلى دين الحقِّ؛ فكأنَّ الداعية منادٍ بكلِّ ما أوتي من قوَّة ماديَّة (صوتيَّة)، وبقواه الروحانيَّة، ومنها نداء الأذان للصلوات، ونداء الدعاء الذي يدلّ على شدَّة التضرُّع والاستغاثة مع كون المستغيث آملاً في الإجابة، أو مع كونه آيساً منها، أو للدلالة على التقريع والتوبيخ، أو التكريم، أو البشارة، أو المواساة وتهدئة الرَّوع، أو استنهاض الهمم.

- وردت مادة الصِّياح في القرآن الكريم ثلاث عشرة مرَّة، كلَّها بلفظ الاسم (الصَّيحة)، وكلُّها في سياق العذابِ إلَّا موضعين يكادان يختلفان عن باقي المواضع، فقد دلَّت في موضعين على بعث النَّاس للقيامة، مع ورودها بدلالتها المعجميَّة للإشارة إلى شدَّة الخوف والترقُّب الحاصل للمُنافقين من كلِّ صوتٍ يصدر.

- وردت مادة (صرخ) ومشتقاتها في القرآن الكريم خمس مرَّات، استُعمل الصّراخ في الدلالة على الصياح المزعج الممزوج بالأصوات المتداخلة غير المفهومة، كما استعمل لمعنى الإغاثة للمُشاكلة والمناسبة؛ لأنَّ المعلوم أنَّ الإنسان إذا حلَّ بهِ الهلاك سيلجأُ للصِّياح والصُّراخ، والصراخُ أوقعُ في الآذان؛ لعلَّه يجدُ ملجأً ومنجىً، وهناك بُعدٌ دلاليٌّ آخر يتمثَّل في أنَّ الغاية أنْ لا أحدَ يصرخُ لأجلهم؛ لأنَّ الصريخ بمعنى الصَّارخ، فلا أحدَ يتألم عليهم، أو لكون المُهلَكين لن يستطيعوا صرخةً واحدة بسبب سرعة الإهلاك.

- وردت مادة (جأر) ومشتقاتها في القرآن الكريم ثلاث مرَّات، كانت متقاربة الدلالة، وإنِ

(١) ينظر: غريب القرآن لابن قتيبة: ٢٩٨، جامع البيان: ١٩/ ٥٠، تفسير القرآن العزيز: ٣/ ٢٠٥.
(٢) بحر العلوم: ٢/ ٤٨٥.
(٣) ينظر: غريب القرآن للسجستاني: ٥١٧
(٤) ينظر: غريب القرآن لابن قتيبة: ٢٤٣.

اختلفت فيها السياقات، وقد دَلَّ الجَأرُ في القرآن الكريم على الدُّعاء ولا سيَّما في وصف حال الكُفَّار؛ لتشبيههم بالحيوانات التي تستغيث ولا تُحسن الطلب ولا اللفظ عند الاستغاثة.

المصادر

-**القُرآن الكريم**.

١-الإتقان في علوم القرآن: عبدالرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت:٩١١هـ)، تحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم، ط١، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ١٣٩٤هـ- ١٩٧٤ م.

٢-أساس البلاغة: أبو القاسم جار الله محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري (ت: ٥٣٨هـ-١١٤٣م)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٩ هـ- ١٩٩٨ م.

٣-أسباب نزول القرآن: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري الشافعي(ت:٤٦٨هـ- ١٠٧٦م)، تحقيق: كمال بسيوني زغلول، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١١ هـ.

٤-الأضداد: أبو بكر، محمد بن القاسم بن محمد بن بشار بن الحسن بن بيان بن سماعة بن فَروة بن قَطَن بن دعامة الأنباري (ت: ٣٢٨هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.

٥-إعجاز القرآن: أبو بكر الباقلاني محمد بن الطيب (ت: ٤٠٣هـ)، تحقيق: السيد أحمد صقر، ط٥، دار المعارف - مصر، ١٩٩٧م.

٦-الأمثال العربية والأمثال العامية دراسة مقارنة دلالية: د. علاء إسماعيل الحمزاوي، بدون معلومات.

٧-الإيحاء الصوتي وأثره في رسم الصورة الفنية في القرآن الكريم: د.حيدر حسين عبيد، بحث منشور في كلية الإمام الأعظم، العدد الثالث عشر، ١٤٣٣هـ- ٢٠١١م.

٨-بحر العلوم: أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي(ت: ٣٧٣هـ)، تحقيق: د.محمود مطرجي، ط١، دار الفكر، بيروت، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.

٩-البحر المحيط في التفسير: أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (ت: ٧٤٥هـ- ١٣٤٤م)، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، ١٤٢٠ هـ.

١٠-بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (ت: ٨١٧هـ)، تحقيق: محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة.

١١-البلاغة العربية: عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني الدمشقي (ت: ١٤٢٥هـ)، ط١، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م.

١٢-تاج العروس من جواهر القاموس: أبو الفيض محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني الملقّب

بمرتضى الزَّبيدي(ت:١٢٠٥هـ)، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية.

١٣-التصاريف لتفسير القرآن مما اشتبهت أسمائه وتصرفت معانيه: يحيى بن سلام بن أبي ثعلبة، التيمي بالولاء، من تيم ربيعة، البصري ثم الإفريقي القيرواني (ت: ٢٠٠هـ)، قدمت له وحققته: هند شلبي، الشركة التونسية للتوزيع، ١٩٧٩ م.

١٤-التفسير البَسِيْط: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (ت: ٤٦٨هـ)، تحقيق: أصل تحقيقه في (١٥) رسالة دكتوراة بجامعة الإمام محمد بن سعود، ثم قامت لجنة علمية من الجامعة بسبكه وتنسيقه، ط١، عمادة البحث العلمي - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٣٠ هـ.

١٥-تفسير الشعراوي (الخواطر): محمد متولي الشعراوي(ت: ١٤١٨هـ-١٩٩٨م)، ط١، مطابع أخبار اليوم، مصر، ١٩٩٧م.

١٦-تفسير القرآن: عبدالرزاق بن همام الصنعاني(ت:٢١١هـ)، تحقيق د. مصطفى مسلم محمد، ط١، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤١٠هـ.

١٧-تفسير القرآن العزيز: أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عيسى بن محمد المري، الإلبيري المعروف بابن أبي زَمَنِين المالكي (ت: ٣٩٩هـ)، تحقيق: أبي عبد الله حسين بن عكاشة - محمد بن مصطفى الكنز، ط١، الفاروق الحديثة - مصر/ القاهرة، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

١٨-تفسير القرآن العظيم: إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي(ت:٧٧٤هـ)، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٩ هـ.

١٩-تفسير مجاهد: أبو الحجاج مجاهد بن جبر التابعي المكي القرشي المخزومي(ت: ١٠٤هـ)، تحقيق: د. محمد عبدالسلام أبي النيل، ط١، دار الفكر الإسلامي الحديثة، مصر، ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م.

٢٠-التفسير الوسيط: د وهبة بن مصطفى الزحيلي، ط١، دار الفكر - دمشق، ١٤٢٢ هـ.

٢١-تفسير يحيى بن سلام: يحيى بن سلام بن أبي ثعلبة، التيمي بالولاء، من تيم ربيعة، البصري ثم الإفريقي القيرواني(ت:٢٠٠هـ)، تحقيق: د.هند شلبي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م.

٢٢-تهذيب اللغة: أبو منصور محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي (ت:٣٧٠هـ)، تحقيق: محمد عوض مرعب، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠١م.

٢٣-جامع البيان في تأويل القرآن: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (ت: ٣١٠هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ط١، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.

٢٤- جمهرة اللغة: أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد(ت:٣٢١هـ)، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، ط١، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٧م.

٢٥-الخصائص: أبو الفتح عثمان بن جني(ت:٣٩٢هـ)، تحقيق: محمد علي النجار، عالم الكتب - بيروت.

٢٦-زاد المسير في علم التفسير: جمال الدين أبو الفرج عبدالرحمن بن علي بن محمد الجوزي(ت: ٥٩٧هـ-١٢٠١م)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، ط١، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٢٢ هـ.

٢٧-زهرة التفاسير: محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (ت: ١٣٩٤هـ)، دار الفكر العربي، القاهرة.

٢٨-الزيادة والإحسان في علوم القرآن: محمد بن أحمد بن سعيد الحنفي المكيّ، شمس الدين، المعروف كوالده بعقيلة (ت: ١١٥٠ هـ)، تحقيق: أصل هذا الكتاب مجموعة رسائل جامعية ماجستير للأساتذة الباحثين: (محمد صفاء حقي، وفهد علي العندس، وإبراهيم محمد المحمود، ومصلح عبد الكريم السامدي، خالد عبد الكريم اللاحم)، ط١، مركز البحوث والدراسات جامعة الشارقة الإمارات، ١٤٢٧ هـ.

٢٩-الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت: ٣٩٥هـ)، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.

٣٠- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي(ت: ٣٩٣هـ -١٠٠٣م)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ط٤، دار العلم للملايين، بيروت، ١٤٠٧ هـ- ١٩٨٧م.

٣١-العين: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت: ١٧٠هـ)، تحقيق: د. مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، بيروت.

٣٢-غريب القرآن: عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري(ت: ٢٧٦هـ-٨٨٩م)، تحقيق: أحمد صقر، دار الكتب العلمية، بيروت (مصورة عن الطبعة المصرية)، ١٣٩٨ هـ-١٩٧٨ م.

٣٣-غريب القرآن المسمى بنزهة القلوب: محمد بن عُزير السجستاني العُزيري(ت:٣٣٠هـ-٩٤١م)، تحقيق: محمد أديب عبد الواحد جمران، ط١، دار قتيبة، سوريا، ١٤١٦هـ-١٩٩٥م.

٣٤-فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب (حاشية الطيبي على الكشاف): شرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي (المتوفى: ٧٤٣ هـ)، مقدمة التحقيق: إياد محمد الغوج، القسم الدراسي: د. جميل بني عطا، المشرف العام على الإخراج العلمي للكتاب: د. محمد عبد الرحيم سلطان العلماء، ط١، جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، ١٤٣٤ هـ - ٢٠١٣ م.

٣٥-فقه اللغة وسر العربية: عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي (ت: ٤٢٩هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، ط١، إحياء التراث العربي، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.

٣٦-الفكر اللغوي عند العرب في ضوء علم اللغة الحديث: د.رضوان منيسي عبدالله، دار النشر

للجامعات، مصر، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م.

٣٧-الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: أبو القاسم محمود بن عمر بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت: ٥٣٨هـ-١١٤٣م)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، ط٣، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٧ هـ.

٣٨-اللامات: عبد الرحمن بن إسحاق البغدادي النهاوندي الزجاجي، أبو القاسم (ت: ٣٣٧هـ)، تحقيق: مازن المبارك، ط٢، دار الفكر - دمشق، ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م.

٣٩-لسان العرب: أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن على ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى(ت:٧١١هـ)، تحقيق: عبدالله علي الكبير ومحمد أحمد حسب الله و هاشم محمد الشاذلي، ط١، دار المعارف، القاهرة.

٤٠-مجاز القرآن: أبوعبيدة معمر بن المثنى التيمى البصري(ت:٢٠٩هـ-٨٢٣م)، تحقيق: محمد فواد سزگين، ط١، مكتبة الخانجى، القاهرة،١٣٨١هـ.

٤١-محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء: أبو القاسم الحسين بن محمد بن المفضل الأصفهاني(ت:٥٠٢هـ)، تحقيق: عمر الطباع، دار القلم، بيروت، ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.

٤٢-المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: أبو محمد عبدالحق بن غالب بن عبدالرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي(ت:٥٤٢هـ-١١٤٨م)، تحقيق: عبدالسلام عبد الشافي محمد، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٢هـ.

٤٣-المحكم والمحيط الأعظم: أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي(ت:٤٥٨هـ)، تحقيق: عبدالحميد هنداوي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٠م.

٤٤- المخصص: أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي(ت: ٤٥٨ هـ- ١٠٦٦م)، تحقيق: خليل إبراهيم جفال، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤١٧هـ- ١٩٩٦م.

٤٥-معاني الأبنية في العربية: د.فاضل السامرائي، ط٢، دار عمار، الأردن، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م.

٤٦-معاني القرآن: أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي الفراء (ت: ٢٠٧هـ)، تحقيق: أحمد يوسف النجاتي / محمد علي النجار / عبد الفتاح إسماعيل الشلبي، دار المصرية للتأليف والترجمة - مصر.

٤٧-معاني القرآن وإعرابه: إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (ت: ٣١١هـ)، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، ط١، عالم الكتب - بيروت، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.

٤٨-معاني النحو: د. فاضل صالح السامرائي، ط١، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - الأردن، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.

٤٩- المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم (مؤصَّل ببيان العلاقات بين ألفاظ القرآن الكريم بأصواتها وبين معانيها): د. محمد حسن حسن

جبل، ط١، مكتبة الآداب – القاهرة، ٢٠١٠ م.
٥٠-معجم متن اللغة (موسوعة لغوية حديثة): أحمد رضا (عضو المجمع العلمي العربي بدمشق)، دار مكتبة الحياة – بيروت، عام النشر: [١٣٧٧ – ١٣٨٠ هـ]، جـ ١ و ٢/ ١٣٧٧ هـ – ١٩٥٨ م، جـ ٣/ ١٣٧٨ هـ – ١٩٥٩ م، جـ ٤/ ١٣٧٩ هـ – ١٩٦٠ م، جـ ٥/ ١٣٨٠ هـ – ١٩٦٠ م.
٥١-المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: محمد فؤاد عبدالباقي، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٨هـ-١٩٩٦م.
٥٢-مفاتيح الغيب (التفسير الكبير): أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري(ت: ٦٠٦هـ)، ط٣، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ١٤٢٠ هـ.
٥٣-المفردات في غريب القرآن: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني(ت:٥٠٢هـ)، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، ط١، دار القلم، الدار الشامية، دمشق، بيروت، ١٤١٢ هـ.
٥٤- مقاييس اللغة: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت: ٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.
٥٥-من بلاغة القرآن: أحمد أحمد عبد الله البيلي البدوي (ت: ١٣٨٤هـ)، نهضه مصر – القاهرة، ٢٠٠٥م.
٥٦-الموسوعة القرآنية، خصائص السور: جعفر شرف الدين، تحقيق: عبد العزيز بن عثمان التويجزي، ط١، دار التقريب بين المذاهب الإسلامية – بيروت، ١٤٢٠ هـ.
٥٧-نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (ت: ٨٨٥هـ) تحقيق: عبد الرزاق غالب المهدي، دار الكتب العلمية – بيروت – ١٤١٥هـ – ١٩٩٥ م.
٥٨- الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره وأحكامه وجمل من فنون علومه: أبو محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني الأندلسي القرطبي المالكي(ت:٤٣٧هـ)، تحقيق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي – جامعة الشارقة، بإشراف أ. د: الشاهد البوشيخي، ط١، مجموعة بحوث الكتاب والسنة، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة الشارقة، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨م.
٥٩-الوسيط في تفسير القرآن المجيد:أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي النيسابوري الشافعي(ت:٤٦٨هـ-١٠٧٦م)، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود وآخرين، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥ هـ-١٩٩٤ م.
٦٠- وظيفة الصورة الفنية في القرآن: عبد السلام أحمد الراغب، ط١، فصلت للدراسات والترجمة والنشر – حلب، ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١ م.